شريعته وفي الاخرة بتشفيعه في امته واجزال اجره ومثوبته وابدا فضله للاولين والاخرين
بالمقام المحمود وتقديمه على كافة المقربين الشهود ولا ينافي تفسيرها بالتعظيم عطف
اله وصحبه عليه في ذلك لان تعظيم كل احد بحسب ما يليق به وقيل معنى صلاة الله
مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار ويمكن رجوعه لما قبله بجعل المغفرة نوعا من
انواع التعظيم والاستغفار نوع من انواع ذلك الدعا واقتصر عليها للاهتمام بها
وقيل معنى صلاة الله تعالى رحمته وصلاة الملائكة رقة تبعث على استدعاء
طلب الرحمة والثاني يرجع لما مر انها منهم الدعا والاول ان اريد بالرحمة فيه المقرونة
بالتعظيم رجع لما مر ايضا انها من الله ثناؤه عليه وتعظيمه فيكون القولان متحدين
بالحقيقة والخلاف في اللفظ فقط اذ لا يسع احدا القول بان صلاته تعالى و
رحمته بامته بمعنى صلاته او رحمته للمؤمنين لان القدر اللائق به من ذلك ارفع
واجل وهذا الاجل الارفع فيه من الخصوص ما ليس في مطلق الرحمة فخص باسم الصلاة
وخص اسمها باستعمال الانبيا تمييزا له ولهم بشرفه وشرفهم وان اريد بها مطلق الرحمة
توجه الاعتراض عليه بان الله تعالى غاير بينهما في اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة والصحابة فهموا المغايرة لسؤالهم عن معنى الصلاة في الاية مع انهم علموا
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فلو اتحدتا لما سالوا عن الصلاة ولقال
لهم النبي قد علمتم الصلاة بعلمكم الدعا بالرحمة وايضا فقد اجمعوا على جواز
الترحم على الانبيا واختلفوا على اقوال شتى في الصلاة على غير الانبيا فهذا
صريح في مغايرتهما وعلى كون المراد بها الرحمة المقرونة بالتعظيم فيجاب
عما ورد على الوجه المذكور بانه لا مانع من ان الصلاة رحمة خاصة فلما فيها
من الخصوص غوير بينهما بالعطف وفي كلام الزمخشري تصريح بما يؤول اليه
وبانه انما احتاج الصحابة الى السؤال عن كيفيتها ليحيطوا بذلك الخصوص
ولا يرد عليه اجماعهم على جواز الترحم على غير الانبيا واختلافهم في جواز الصلاة
لما تقرر من ان الصلاة اخص ففيها معنى زائد على مطلق الرحمة فجاز مطلقها
اتفاقا وامتنعت الصلاة على غير الانبيا على قول رعاية لذلك المعنى الاخص
ومن ثم وجبت بعد التشهد مع اشتماله على الدعا بالرحمة وهذا ان تاملته
يظهر لك ان لا خلاف في الحقيقة بينه وبين القول بانها من الله الثناء
عليه صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وفي شرح المشكاة لابن حجر بعد ان ورد الصلاة
بمطلق الرحمة بما سبق اما لفظه نعم قد تاتي الصلاة من الله بمعنى الرحمة كما في قوله
تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وح فالصلاة من الله على الانبيا تخص
بالرحمة المقرونة بالتعظيم وعلى غيرهم لا تختص بذلك بل قد يكون منها ما هو
مقرون بنوع تعظيم وقد لا بحسب مراتب المؤمنين ومما يؤيد ذلك ان من
المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من الرحمة ارفع مما يليق
بغيره انتهى وفي الشفا للقاضي عياض نقلا عن ابي بكر القشيري الصلاة على النبي

صلاة

صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة
وبهذا التقرير يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين في قوله ان الله
وملائكته يصلون على النبي مع قوله قبل هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم
ان القدر الذي يليق به من ذلك ارفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان هذه
الاية من تعظيم شان النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها انتهى ملخصا
ويحصل من خلاصة هذا المقال ان لا مخالفة بين الثلاثة الاقوال في تعظيمه
صلى الله عليه وسلم والرحمة والاستغفار واما صلاة الملائكة فقيل الدعا وقال
ابن عباس فيما علقه عنه البخاري الدعا بالبركة وقال المبرد رقة تبعث على استدعا
الرحمة وهو معنى قول غيره رقة ودعا وقيل الاستغفار ولا مخالفة في الحقيقة
بين هذه الاقوال ايضا كما هو ظاهر لانها منهم معنى الدعا الشامل للدعا بالبركة
او المغفرة اللائقة بمقامه صلى الله عليه وسلم وبغيرهما من سائر المراتب اللائقة
به صلى الله عليه وسلم والباعث عليها منهم ما ركبه الله فيهم من الرقة والمعرفة بحقوقه
صلى الله عليه وسلم ومن خصص الدعا بالبركة او المغفرة لم يرد انهم لا يدعون له
بغير ذلك اذ لا دليل له على هذا الحصر وانما اراد النص على اظهر مقاصد الدعا عند
فاجتمعت الاقوال واتضح المراد منها وهو انهم يطلبون له صلى الله عليه وسلم من ربه
مزيد الثنا عليه وتعظيمه والافاضة عليه من بركته ومغفرته وغيرهما من المراتب
العلية ما يليق بباهر كماله وعلي حاله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم واما صلاة
مؤمني الانس والجن عليه فهي بمعنى الدعا اي طلب ما ذكر له صلى الله عليه وسلم من الله
سبحانه واذا عرفت ذلك فعامة القرا على نصب الملائكة عطفا على اسم
ان فقيل يصلون خبر عنهما وقيل عن الثاني وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون
عليه ورجح بتغاير معنى الصلاتين وظاهر كلام ابي حيان ترجيح الاول وعليه
ترد حجة الثاني بانه لا نظر للتغاير مع استعمال لفظ الصلاة للقدر
المشترك كما مر بيانه وايده بعضهم بقوله الصواب عندي ان الصلاة لغة
بمعنى واحد هو العطف ثم بالنسبة اليه تعالى الرحمة والى الملائكة الاستغفار
والى الادميين دعا بعضهم لبعض انتهى وعليه فلا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم
لمن قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب
القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله وذلك لان حكمة التشريك هنا ان
هذا قول من الله شرف به الملائكة فلا يتوهم منه نقص البتة ومن ثم جمع نفسه
صلى الله عليه وسلم مع ربه في قوله لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما واما الخطيب فمنصبه قابل للزلل فنطقه بهذه العبارة ربما يتوهم
منه لنقصه انه جمع بينهما في الضمير لتساويهما عنده وقرى بالرفع وعليه فيحتمل
انه عطف على محل اسم ان ويصلون خبر عنهما وان يكون يصلون خبرا للملائكة
وخبر الجلالة محذوف وهو مذهب البصريين لما مر ولئلا يتوارد معمولان
على معمول واحد ولئلا يلزم الاشتراك والاصل عدمه ولانا لا نعرف في

Copyright King Saud University